هند بنت الحارث

هى إحدى جميلات ذلك العصر ، وهى التى أوحت إلى عمر عينيته التى قرنها القدماء إلى رائيته وفضلوه بهما على جميل ، ولنترك ابن أبي ربيعة يتكلم هذه المرة إذ كان حديثه عن هند يشبه ما يعرف بالاعتراف .

حدث مصعب بن عبد الله عن عثمان بن ابراهيم الخاطبي قال [1]

أتيت عمر بن أبي ربيعة بعد أن نسك بسنين وهو فى مجلس قومه من بنى مخزوم . فانتظرت حتى تفرق القوم ، ثم دنوت منه ومعى صاحب لى ظريف ، فقال : تعال حتى نهيجه على الغزل فننظر هل بقى فى نفسه منه شىء ؟ فقلت : دونك ! فقال : يا أبا الخطاب ! لقد أحسن العذرى وأجاد فيما قال . فنظر عمر إليه ثم قال له : وماذا قال ؟ قال : حيث يقول .

(١) ورد هذا الحديث فى زهر الآداب ج ١ ص ٢٢٨ وفى امالى القالى ج ٢ ص ٥٠ وفى الاغانى ج ١ ص ١٧٤ . ومع أن المحدث واحد فقد اختلفت العبارات فى هذه الكتب الثلاثة ، وقد اخترنا ما رأيناه أنسب بالسياق من غير أن نتقيد بنص بعينه

لو جُذّ بالسيف رأسى فى مودتها لمرّ يهوى سريعاً نحوها راسى[1]

ولو بَلِى تحت أطباق الثرى جسدى

لكنت أبلى وما قلبى لكم ناس

أو يقبض الله روحي صار ذكركمُ

روحاً أعيش به ما عشت فى الناس

لولا نسيمٌ لذكراكم يروّحنى لكنت محترقاً من حرّ أنفاسى

فارتاح عمر إلى هذه الأبيات ثم قال : يا ويحه ! أبعد ما يُجذّ رأسه يميل إليها !

فقلت : ولله در جُنادة العذرى ! فقال عمر : حيث يقول ماذا ويحك : فقلت حيث يقول :

سرت لعينك سامى بعد مغفاها فبت مستنبهاً من بعد مسراها[2]

فقلت أهلاً وسهلا من هداك لنا إن كنت تمثالها أو كنت إياها

تأتي الرياح التى من نحو بلدتكم حتى أقول دنت منا بريّاها

وقد تراخت بنا عنها نوًى قَذَفٌ هيهات مُصْبَحها من بعد مُمْساها[3]

من حبها أتمنى أن يلاقينى من نحو بلدتها ناع فينعاها

(١) جذ : قطع (٢) مستنبه : مستيقظ (٣) وى قذف : بعيدة . ومثلها النوى لقذوف

كيما أقول فراقٌ لا لقاء له وتضمر النفس يأساً ثم تسلاها
ولو تموت لراعتني وقلت لها يا بُؤْس للدهر ليت الموت أبقاها

فضحك عمر ثم قال : وأبيك لقد أحسن وأجاد وما أبقى [1] ولقد هيجتما عليّ ساكنا ، وذكرتماني ما كان عنى غائبا ، ولأحدثنكما حديثا حلوا :

بينما أنا منذ أعوام جالس إذ أتاني خالد الخِرّيت [2] فقال لى : يا أبا الخطاب ، مرت بي أربع نسوة قبيل العشاء يردن موضع كذا وكذا لم أر مثلهن فى بدو ولا فى حضر ، فيهن هند بنت الحارث المرية ، فهل لك أن تأتيهن متنكراً فتسمع من حديثهن ، وتتمتع بالنظر اليهن ، ولا يعلمن من أنت ؟ فقلت له ، ويحك ! وكيف لى أن أخفى نفسى ؟ قال : تلبس لبسة أعرابي ثم تجلس على قَعود فلا يشعرن إلا بك قد هجمت عليهن ، ففعلت ما قال وجلست على قعود فسلمت عليهن ثم وقفت بقربهن ، فسألنى أن أنشدهن وأحدثهن ، فأنشدتهن لكثير وجميل ، والاحوص ونصيب وغيرهم ، فقلن لى : ويحك يا أعرابى ! ما أملحك وأظرفك ! لو نزلت فتحدثت معنا يومنا هذا فاذا أمسيت انصرفت فى حفظ

(١) فى زهر الآداب انه لم يهش لهذه الابيات ، وهى فيه منسوبة الى الفرزدق
(٢) هو خالد بن عبد الله القسرى وكان يترسل بينه وبين النساء وكان من أهل العبث فى صباه ـ والخريت على وزن سكيت هو الدليل الحاذق

الله ! فأنخت بعيرى ثم تحدثت معهن ، وأنشدتهن ، فسُرِرن بى وجَذِلن بقربى وأعجبهن حديثى . ثم تغامزن وجعل بعضهن يقول لبعض : كأنا نعرف هذا الاعرابى ! ما أشبهه بعمر بن أبى ربيعة ! فقالت إحداهن : هو والله عمر ! فمدت هند يدها فانتزعت عمامتى فألقتها عن رأسى ثم قالت : هِيهِ يا عمر ! أتُراك خدعتنا منذ اليوم ! بل نحن والله خدعناك ، واحتلنا عليك بخالد فأرسلناه اليك لتأتينا فى أسوإ هيئة ونحن كما ترى ثم أخذنا فى الحديث . فقالت هند : ويحك يا عمر ! اسمع منى ، لو رأيتنى منذ أيام وأصبحت عند أهلى ، فأدخلت رأسى فى جيبى ، فلما نظرتُ إلى كَعْبَى فرأيته ملء العين وأُمنيّة المتمنّى ناديت : يا عمراه . يا عمراه فصِحْتُ : يا لَبَيْكاه ! يا لَبَيْكاه ! ثلاثا ، ومددت فى الثالثة صوتى . فضحكت ، وحادثتهن ساعة ثم ودعتهن وانصرفت ، فذلك حيث أقول :

ألم تسأل الأطلال والمتربّعا ببطن حُلَيَّاتٍ دوارس بلقعا[1]

الى السَّرح من وادى المغمَّس بُدِّلتْ معالمهُ وبلاً ونكباء زَعْزَعا[2]

(١) المتربع : منزل القوم في الربيع ـ حليات اسم موضع قرب مكة ـ دوارس جمع دارس وهو البالى ـ بلقع : قفر (٢) السرح اسم موضع ـ والمغمس : موضع قرب مكة في طريق الطائف . مات فيه أبو رغال وقبره يرجم لانه كان دليل أبرهة صاحب الفيل ـ الوبل : المطر ـ النكباء : الريح التى تنكب عن مهاب الرياح ـ وريح زعزع : شديدة ، وكذلك زعزاع وزعروع

فيبخلن أو يخبرن بالعلم بعد ما نكأن فؤاداً كان قِدماً مفجّعا[1]
لهند وأتراب لهند اذ الهوى جميعٌ واذ لم نخش أن يتصدعا[2]
واذْ نحن مثلُ الماء كان مِزاجهُ
كما صفّق الساقي الرحيق المُشَعْشَعا[3]
وإذ لا نطيع الكاشحين ولا نرى لواش لدينا يطلب الصَّرْم موضعا[4]
تُنُوعِتْن حتى عاود القلبَ سُقمهُ وحتى تذكرت الحديث المودَّعا[5]
فقلت لِمُطْريهن بالحسن انما
ضررت فهل تستطيعُ نفعاً فتنفعا[6]
وأَشْرَيتَ فاستشرى وقد كان قد صحا فؤادٌ بأمثال المَهَا كان مُوزعا[7]
وهيَّجتَ قلباً كان قد ودَّع الصِّبا وأشياعه فاشفع عسى أن تُشفَّعا[8]

(١) نكأ الجرح أدماه من جديد . ونكأ القلب أضرمه بالحب قبل أن يخبو به الوجد
(٢) هوى جميع : مجتمع ومجموع ، ومثله حي جميع ــ والتصدع : التفرق
(٣) صفق الشراب : حوله من اناء الى اناء ليصفو ــ الرحيق : الخالص من الخمر ــ المشعشع : الممزوج ، بخلاف الصرف وهو الذى لم يمزج وبخلاف المقتول وهو الذى زاد مزاجه فذهبت سورته . قال حسان :

ان التى ناولتنى فرددتها قتلت قتلت فهاتها لم تقتل
كتمتها حلب العصير فعاطنى بزجاجة أرخاهما للمفصل

(٤) الكاشحون : المبغضون ــ الصرم : القطيعة (٥) تنوعتن : فعل مبنى للمجهول من التعت وهو الوصف ــ المودع : المصون (٦) الاطراء : المبالغة في الوصف
(٧) أشراه فاستشرى : أغراه فهاج ــ موزع : مولع ، وقد روى البيت بهما معا كما ذكر القالى فى أماليه (٨) أشياع الصبا هم اخوانه وأولياء مافيه من النزق والجنون

لئن كان ما حدّثتَ حقاً فما أرى
كمثل الأولى أطريت فى الناس أربعا

فقال تعال انظر فقلت وكيف لى ... أخاف مقاماً أن يشيع فيشنُعا(١)
فقال اكتفل ثم التثم وأت باغياً ... فسلِّم ولا تُكثر بأن تتورَّعا(٢)
فانى سأخفى العين عنك فلا تُرى ... مخافة أن يفشو الحديثُ فيُسمعا
فأقبلت أهوى مثل ماقال صاحبى ... لموعده أُزْجى قَعوداً مُوَقِّعا(٣)
فلما تواقفنا وسلمت أشرقت ... وجوهٌ زهاها الحسن أن تتقنّعا(٤)
تبالهن بالعِرفانِ لمّا عرفننى ... وقلن امرؤٌ باغٍ أضلّ فأوضعا(٥)
وقرّبن أسباب الهوى لمتيّم ... يقيس ذراعاً كلما قِسْن إصبعا

(١) يشنع : يقبح (٢) اكتفل البعير وتكفله اذا أخذ كساء فعقد طرفيه ثم ألقى مقدمه على كاهله ومؤخره على عجزه ثم ركب بين العقدة والسنام . واسم ذلك الكساء الكفل بالكسر ــ الباغى : الطالب (٣) أزجى : أسوق ــ بعير موقع : أنهكه الركوب فكثرت آثار الدبر عليه، وحافر موقع : وقعته الحجارة فقطعت سنابكه
(٤) يريد أنها وجوه مدلة بجمالها فلا تتقنع فتستر شيئاً عن الناظرين اليها ــ وقد أشار الى هذا المعنى الشماخ بن ضرار اذ قال يصف ناقته :

كأن ذراعيها ذراع مدلة ... أطارت من الحسن الرداء المحبرا

(٥) أضل بعيره : ذهب عنه ــ وفي رواية أخرى : أكل ، من الكلال وهو الاعياء ــ أوضع : أسرع

فلما تنازعنا الأحاديث قلن لى ... أخِفتَ علينا أن نُغرَّ ونُخْدَعَا
لَبالأمس أرسلنا بذلك خالداً ... إليك وبيَّنَّا له الشأن أجمعا
فما جئتنا إلا على وَفْق موعدٍ ... على ملأٍ منَّا خرجنا لهُ معا
رأينا خلاءً من عيون ومجلساً ... دميث الرُّبى سهل المحلة ممرعا (١)
وقلنا كريم نال وصل كرائم ... فحقَّ له فى اليوم أن يتمتّعا (٢)

ولعمر فى هند شعر كثير ، منه هذه الرائية

ياصاحبيَّ قِفا نستخبر الدارا ... أقوت وهاجت لنا بالنعف تذكارا (٣)
تبدّل الربع ممن كان يسكنهُ ... أُدم الظباء به يمشين أسطارا (٤)
وقد أرى مرةً سِرباً به حسناً ... مثل الجآذر لم يُمسَسْن أبكارا (٥)
فيهنّ هندٌ وهندٌ لاشبيه لها ... فيمن أقام من الاحياء أوسارا
هيفاء مقبلةً عجزاء مُدبرةً ... تخالها فى ثياب العَصب دينارا (٦)

(١) دميث : سهل ــ الربى جمع ربوة وهي ما ارتفع من الارض ــ ممرع : مخصب
(٢) وردت قصة عمر مع هند في الجزء التاسع عشر من الاغانى فى أخبار خالد القسرى من طريق آخر يختلف عما أثبتناه بعض الاختلاف
(٣) أقوت : خلت (٤) أدم جمع ادماء وهى التى أشرب لونه بياضا ــ أسطار صفوف ، مفردها سطر ، قال ابن مقبل

لهم ظعن سطر تخال زهاءها ... اذا ماحزاها الآل من ساعة نخلا

(٥) السرب بالكسر القطيع من الظباء والنساء وغيرها ــ الجآذر جمع جؤذر وهو ولد البقرة الوحشية (٦) العصب ضرب من البرود يعصب غزله ثم يصبغ ثم يحاك

تفترُّ عن ذى غُروبٍ طعمه ضَرَبٌ تخاله بَرَدًا من مزنةٍ مارا[١]

كأن عِقد وشاحيها على رشأٍ

يقرو من الروض روض الحزن أثمارا[٢]

قامت تهادى وأترابٌ لها معها

هوْنًا تَدافُعَ سيل الزُّل إذ مارا[٣]

يَمَّن مُورقة الافنان دانيةً وفى الخلاء فما يؤنسن ديّارا[٤]

تقول ليت أبا الخطاب وافقنا كى نلهو اليوم أو ننشد أشعارا[٥]

فلم يَرُعهنَّ إلا العيسُ طالعةً

يحملن بالنَّعف رُكّابًا وأكوارا[٦]

(١) غروب الاسنان ماؤها . وتقول كأن غروب أسنانها وميض البرق ــ والضرب : العسل الابيض ــ مار : سال (٢) يقرو : يتبع ــ والحزن : ماارتفع من الارض (٣) سيل الزل هو الذى تزل منه الاقدام ــ ومار السيل اندفع (٤) الافنان جمع فنن بالتحريك وهو الغصن ــ مايؤنسن ديارا : لا يلقين أحداً . ويقال : مابه دارى وديار ودورى وديور : ليس فيه أحد (٥) وافقنا : صادفنا (٦) النعف ما انحدر من حزونة الجبل وارتفع من منحدر الوادى ، وهو اسم لعدة أماكن منها نعف وداع ، ونعف مياسر ، ونعف سويقة ، الذى يقول فيه الاحوص :

وما تركت أيام نعف سويقة لقلبك من سلماك صبراً ولا عزما

ولم يبين ابن أبى ربيعة النعف الذى يقصده ، والمرجح أنه يريد نعف محسر وهو موضع بين مكة وعرفة ، فقد عينه بقوله من كلمة ثانية :

وفارسٌ يحمل البازى فقلن لها

هاهم أولاء وما أكثرن إكثارا (١)

لما وقفنا وعنّنا ركائبنا بُدِّلن بالعُرف بعد الرَّجع إنكارا (٢)

قلن انزلوا نَعِمتْ دارٌ بقربكمُ أهلا وسهلا بكم من زائر زارا

لمّا ألَمَّت بأصحابى وقد هجعوا حسبتُ وسط رحال القوم عطارا

من طيب نشر التى تامتك إذ طرقت

ونفحة المسك والكافور إذ ثارا

فقلت من ذا المحيِّى وانتبهت لهُ ومَن محدِّثنا هذا الذى زارا (٣)

لت محبٌ رماه الحب آونةً وهيَّجته دواعى الحب إذ ثارا

حُلِّى إزارك سُكنَى غير صاغرة إن شئت واجزى محبًّا بادى سارا

ومقالها بالنعف نعف محسر لفتاتها هل تعرفين المعرضا

هذا الذى أعطى مواثق عهده حتى رضيت وقلت لى لن ينقضا

والأكوار جمع كور وهو رحل الناقة بأداته (١) البازى ضرب من الصقور وحمل البازى اشارة الى الخروج للصيد (٢) عنا ركائبنا : حبسناها بالأعنة

(٣) يلاحظ أن كلمة «مار» تكررت وكذلك كلمة «زار» وهو عيب في الشعر يسمى الايطاء ، والعرب تستقبحه لدلالته على ضعف مادة الشاعر . ومن القدماء من أجازه للعرب وحرمه على المولدين ، ومنهم من لايستقبحه الا اذا كثر . على انه ينبغى أن نذكر ما أشرنا اليه من أن ابن أبى ربيعة كثيرا مايتسامح في ضوابط الشعر واللغة كما كثر شعراء العصر الاموى

فقد تجشّمتُ من طول السُّرى تعباً

وفى الزيارة قد أبلغت أعذارا

إن الكواكب لا يشبهن صورتها وهنّ أسوأ منها بعدُ أخبارا (١)

وفيها أيضا يقول :

هاج القريضَ الذِّكرُ لما غدوْا فابتكروا

على بغالٍ شُحّجٍ قد ضمّهنّ السفر (٢)

فيهنّ هندٌ ليتنى ما عُمّرتْ أُعَمَّر (٣)

حتى إذا ما جاءها حَتْفٌ أتانى القدر (٤)

ومن شعره فى هند تلك الدالية التى استطال بها على الخزين الكنانى وقد أشرنا إلى ذلك فى أخبار الثريا ، والتى كانت فيما بعد سبباً لثورة الرشيد بالبرامكة ، وتمزيقهم كل ممزّق ، حين دسّ إليه خصومهم من غنّاه :

ليت هنداً انجزتنا ما تعد وشفت أنفسنا مما تجد

(١) وما هي أخبار الكواكب ياسيدنا عمر ! (٢) شحج جمع شاحج . والشحاج : صوت البغل (٣) عمر : عاش طويلا وهو مبنى للمجهول ومنه : المعمرون

(٤) يتمنى أن تكون حياته وفق حياة محبوبته حتى لايقع في حيرة نصيب اذ يقول :

أهيم بدعد ماحييت فان أمت فواحزنا من ذا يهيم بها بعدى

واستبدت مرة واحـدةً إنما العاجز من لايستبد

فلنذكرها هنا كاملة لاهميتها فى الادب والتاريخ — قال

زعموها سألت جاراتها وتعرت ذات يوم تبترد[1]

أكما ينعتنى تبصرنني عمركنّ الله أم لا يتئد

فتضاحكن وقد قلن لها حسنٌ فى كل عين من تود

حسداً حُمِّلنه من أجلها وقديما كان فى الناس الحسد

غادة تفتّر عن أشنبها حين تجلوه أقاح أو بَرَد[2]

ولها عينان فى طرفيهما حَوَرٌ منها وفى الجيد غَيَد[3]

طَفْلَةٌ باردة القيظ إذا معمعان الصيف أضحى يتقد[4]

١) هذه رواية الديوان طبع ليبسك . وقد أثبتناه فيما سلف كما رواه الاغانى ؛

ولقد قالت لجارات لها ذات يوم وتعرت تبترد

وابترد الماء : صبه عليه باردا . أو شربه ليبرد به كبده ، والمراد المعنى الاول

(٢) الغادة : المرأة الناعمة اللينة — والأشنب : من الشنب بالتحريك وهو برد ورقة وعذوبة في الاسنان — والاقاحى جمع الاقحوان وهو زهر ابيض تشبه به الاسنان — والبرد بالتحريك حب الغمام (٣) الحور : شدة بياض العين مع شدة سوادها أو هو اسوداد كلها كما في الظباء ، ولايكون في الانسان وانما يستعار له — والغيد: الميل ، وغيد كفرح مالت عنقه ولانت أعطافه ، والغيداء : المتثنية لينا . وتغايدت : تمايلت والاغيد من النبات الناعم المتثنى . والانسان الاغيد هو الذى يتهادى من النعومة واللين

(٤) الطفل بالفتح الرخص الناعم من كل شيء — القيظ : الحر ، أو هو صميم الصيف وقاظ اليوم اشتد حره

سُخنة المشى لحافٌ للفتى تحت ليل حين يغشاه الصَّرَد [١]

ولقد أذكر إذ قلت لها ودموعى فوق خدى تطّرد

قلت من أنت فقالت أنا من شفّه الوجد وأبلاه الكمد

نحن أهل الخيف من أهل منى ما لمقتول قتلناه قَوَد [٢]

قلت أهلاً أنتمُ بغيتنا فتسمَّين فقالت أنا هند

إنما ضُلِّل قلبى فاحتوى صعدةً فى سابرىٍّ تطّرد [٣]

إنما أهلك جيران لنا إنما نحن وهم شىء أحد

حدثونى أنها لى نفثت عقداً حبذا تلك العقد [٤]

كلما قلت متى ميعادنا ضحكت هندٌ وقالت بعد غد

ويمناسبة ما كان من سعى عمر الى أتراب هند نذكر مانقله صاحب الأغانى عن الحارث بن خالد اذ قال [٥] :

(١) الصرد : البرد (٢) القود : القصاص (٣) الصعدة : القناة المستوية تنبت كذلك ــ والسابرى : ثوب رقيق جيد ــ والشاعر يصف محبوبته بأنها قناة تتمايل في ثوب رقيق (٤) جاء في القرآن الاستعاذة « من شر النفاثات في العقد » وهن السواحر والنفث في العقدة يكون عند الرقية . والشاعر يحدثنا أنها سحرته وأنه بهذا السحر مغتبط جذلان ، والنفث : النفخ ، والنفاثة بالضم ماينفث المصدور من فيه . وهذا من نفاثات فلان : من شعره ، وكانوا يرون الشعر من نفث الشيطان

(٥) ج ٦ ص ٨٥

بلغنى أن الغريض خرج مع نسوة من أهل الشرف ليلا إلى بعض المتحدّثات من نواحى مكة وكانت ليلة مقمرة ، فاشتقت اليهن والى مجالستهن ، وإلى حديثهن ، وخفت على نفسى لجناية كنت أُطالَب بها ، وكان عمر مهيباً معظماً لا يقدم عليه سلطان ولا غيره ، وكان منى قريباً ، فأتيته فقلت له : ان فلانة وفلانة وفلانة ، حتى سميتهن كلهن ، قد بعثنى ، وهن يقرأن عليك السلام ، وقد تشوقنا اليك فى ليلتنا هذه لصوت أنشدَناه فُوَيْسِقُك الغريض — وكان الغريض يغنى هذا صوت فيجيده ، وكان ابن أبى ربيعة به معجباً ، وكان كثيراً ما يسأل الغريض أن يغنيه ، وهو

سمى بأسماء هذا القلب معمودا ... إذا أقول صحا يعتاده عِيدا[1]

كان أحور من غزلان ذى بقر ... أهدى لها شبَهَ العينين والجِيدا[2]

قامت تَرَاءَى وقد جد الرحيل بنا ... لتنكأ القرح من قلب قد اصطِيدا

كأننى يوم أُمسى لا تكلمنى ... ذو بغية يبتغى ماليس موجودا[3]

(١) معمود : مقتول (٢) ذو بقر : واد بين أخيلة حمى الربذة

(٣) قال الوليد بن يزيد بن عبد الملك لأصحابه ذات ليلة: أى بيت قالته العرب أغزل؟ فقال بعضهم قول جميل :

يموت الهوى منى اذا مالقيتها ... ويحيا اذا فارقتها فيعود

وقال اخر قول عمر بن أبى ربيعة :

أجرى على موعد منها فتخلفنى فما أملُّ وما توفى المواعيدا
قد طال مَطلى لو أن اليأس ينفعنى أو أن أصادف من تلقائها جودا

فلما أخبرته الخبر قال : لقد أزعجتنى في وقت كانت الدعة أحب فيه الىّ ولكن صوت الغريض ، وحديث النسوة ، ليس له مَتْرك ، ولا عنه محيص . فدعا بثيابه فلبسها وقال : امض ! فمضينا نمشى العَجَل حتى قربنا منهن فقال لى عمر : خَفِّض عليك مشيك . ففعلت ، حتى وقفنا عليهن ، وهن فى أطيب حديث وأحسن مجلس . فسلمنا ، فنهيّبننا وتخفّرن منا ، فقال الغريض : لا عليكن ! هذا ابن أبى ربيعة والحارث بن خالد جاءا متشوّقين إلى حديثكن وغنائى . فقالت فلانة : وعليك السلام يا ابن أبى ربيعة ! والله ماتم مجلسنا الا بك ، اجلسا ، فجلسنا غير بعيد ، وأخذن عليهن جلابيبهن وتقنعن بأخمرتهن وأقبلن علينا بوجوههن وقلن لعمر : كيف أحسست بنا وقد أخفينا أمرنا ؟ فقال : هذا الفاسق جاءنى برسالتكن ، وكنت وقيداً من علة وجدتها [1] ، فأسرعت الاجابة ، ورجوت منكن على ذلك حسن الاثابة ، فرددن عليه : قد وجب

كأننى حين أمسى لا تكلمنى ذو بغية يبتغى ما ليس موجودا

فقال الوليد حسبك والله بهذا !

(١) الوقيذ كالموقوذ هو الشديد المرض المشرف على الهلاك

أجرك ، ولم يخب سعيك ، ووافق منا الحارث إرادة . فحدثهن بما قلت له من قصة غناء الغريض فقال النسوة : والله ما كان ذلك كذلك ، ولقد نبهتنا على صوت حسن ، يا غريض ! هاته ! فاندفع الغريض يغنى ويقول :

أمسى بأسماء هذا القلب معمودا إذا أقول صحا يعتاده عيدا

حتى أتى على الشعر كله ، إلى آخره ، فكل استحسنه ، وأقبل علىّ ابن أبى ربيعة فجزانى الخير ، وكذلك النسوة ، فلم نزل بأنعم ليلة وأطيبها حتى بدأ القمر يغيب ، فقمنا جميعاً ، وأخذ النسوة طريقاً ، ونحن طريقاً ، وأخذ الغريض معنا ، وقال عمر فى ذلك :

هل عند رسم برامةٍ خبرُ أم لا فأى الأشياء تنتظر
وقفت فى رسمها أسائله والدمع مثل الجمان مُنْحدر
قد ذكّرتنى الديار إذ درست
والشوق مما يهيجه الذِّكَرُ
لا أنسَ طول الحياة ما بقيت بطيبةٍ روضة لها شجر
ممشى فتاة إلىّ تخبرنى عنهم عشاءً ببعض ما ائتمروا
ومجلس النسوة الثلاث لدى الـ ـخيمات حتى تبلّج السَّحَرَ

فيهن هند والهم ذِكرتها تلك التي لا يُرى لها خَطَر [1]

ثم انطلقنا وعندنا ولنا فيهن لو طال ليلنا وطر

وقولها للفتاة إذ أزف الـ ـبين أغادٍ أم رائحٌ عمر

عجلان لم يقض بعض حاجته ألا تأنّى يوماً فينتظر

الله جارٌ له وإن نزحت دار به أو بدا له سفر

* * *

وإلى هنا نكتفي بما قدمنا للقارىء من أخبار الملاح ، وإن يكن حديث بقايا أطيب من عبث الشباب على ضِفاف النيل !

(١) المراد انه ليس لها مثيل